مجموعة نقشجم العلميّة
إصدراة رقم (٤٣)

النِّعْمَةُ الْعُظْمَى عَلَى الْخَلْقِ بِمَوْلِدِ مَنْ أُرْسِلَ بِالْحَقِّ

تَأْلِيف
السَّيِّد مُحَمَّد أَمِين بْن السَّيِّد حَسَن المِيرْغَنِيّ
الْمُتَوفَّى سَنَة ١١٦١هـ

النِّعْمَةُ الْعُظْمَى عَلَى الْخَلْقِ

بِمَوْلِدِ مَنْ أُرْسِلَ بِالْحَقِّ

لِلْعَلَّامَةِ الْفَاضِلِ وَالْفَهَّامَةِ الْكَامِلِ

الشَّرِيفِ السُّنِّيِّ السَّنِيِّ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ أَمِينِ بْنِ السَّيِّدِ حَسَنِ المِيرْغَنِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٦١هـ

نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ آمِينَ

صفر ١٤٤٤هـ - سبتمبر ٢٠٢٢م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com

أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ شَهْرَ رَبِيعِ الأَوَّلِ بِالْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ رَبِيعَ الْقُلُوبِ، وَجَلَا بِهِ عَنْ عِبَادِهِ الْغُمُومَ وَأَزَالَ عَنْهُمُ الْكُرُوبَ، وَأَطْفَأَ بِهِ نَارَ الشِّرْكِ وَصَدَعَ بِهِ إِيوَانَ الْإِفْكِ، وَرَفَعَ بِهِ جَمِيعَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، وَأَضَاءَ بِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، إِشَارَةً إِلَى ظُهُورِ هَذَا الدِّينِ بِهَا، فَسُبْحَانَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، وَكَمَّلَ بِهِ سُعُودَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ لَا سِيَّمَا الْكَرُوبِيِّينَ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَجَمَعَ فِيهِ سَائِرَ الْكَمَالَاتِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَجَعَلَهُ إِمَامَ الْكُلِّ، مُقَدَّمًا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَخَتَمَ بِشَرِيعَتِهِ الْغَرَّاءِ الْمَحْفُوظَةِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، إِلَى أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلَ.

نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّتِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِطَرِيقَتِهِ وَمِلَّتِهِ، فَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُمِيتَنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَعَلَى حُبِّ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَهْلِ مَوَدَّتِهِ.

وَنشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُقْتَطِفٍ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ زَهْرَ الرَّبِيعِ، وَمُخْتَطِفٍ لِمَا يَبْدُو فِي لَيَالِيهِ مِنَ النُّورِ الْبَدِيعِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَنَبِيُّهُ وَرَسُولُهُ وَحَبِيبُهُ وَصَفِيُّهُ وَنَجِيُّهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَوْصَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّين.

وَبَعْدُ فَهَذَا ذِكْرُ سَيِّدِ الْأَنَامِ، وَرَسُولِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَمِصْبَاحِ الظَّلَامِ وَقَمَرِ التَّمَامِ، الْتَقَطْتُه مِنْ "مَوْلِدِ الْعَلَّامَةِ ابْنِ حَجَرٍ" وَ"الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ" وَغَيْرِهِمَا، لِتَكْمُلَ قِرَاءَتُهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، رَوْمًا لِلتَّسْهِيلِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ التَّمَامِ، وَتَقْرِيبًا لِمَعْرِفَةِ مَزَايَاهُ الْعِظَام.

عَازِمًا عَلَى تَسْمِيَةِ هَذَا الْمُؤَلَّفِ بِـ:

(النِّعْمَةُ الْعُظْمَى عَلَى الْخَلْقِ بِمَوْلِدِ مَنْ أُرْسِلَ بِالْحَقِّ)

وَعَلَى اللَّهِ اعْتَمِدُ، وَإِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ اسْتَنِدُ.

فَقُلْتُ مُفْتَتِحًا كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ قُرَّاءِ الْمَوَالِيدِ بِآيَةٍ تُنَاسِبُ الْمَرَامِ، وَتَدُلُّ عَلَى شَرَفِ ذَلِكَ الْمَقَامِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

فَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَفِيعُ الْمُذْنِبِينَ، الَّذِي أَرْسَلَهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَفَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَخَصَّهُ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى يَوْمَ الدِّينِ.

وَهُوَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا وَرَسُولُنَا وَحَبِيبُنَا وَهَادِينَا وَذُخْرُنَا أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ. وَقُرَيْشٌ يَنْتَهِي نَسَبُهَا إِلَى النَّضْرِ عِنْدَ الْبَعْضِ، وَعِنْدَ آخَرِينَ إِلَى ابْنِهِ فِهْرٍ. وللّه دَرُّ الْقَائِلِ:

وَنِسْبَةُ عِزٍّ هَاشِمٌ مِنْ أُصُولِهَا وَمُحْتَدُهَا الْمَرْضِيُّ أَكْرَمُ مُحْتَدِ
سَمَتْ رُتْبَةً عَلْيَاءَ أَعْلِي بِقَدْرِهَا وَلَمْ تَسْمُ إِلَّا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

وَإِلَى عَدْنَانَ انْتَهَى النَّسَبُ الشَّرِيفُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى آدَمَ عَلَى أَقْوَالٍ مُتَبَايِنَةٍ لَا يَثْبُتُ مِنْهَا شَيْءٌ، فَلَا يَنْبَغِي الْخَوْضُ فِيهَا لِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ فِي النَّسَبِ إِلَى عَدْنَانَ أَمْسَكَ، وَقَالَ: «كَذَبَ النَّسَّابُونَ»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾». وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ لَا مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَجَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ».

وَحَيْثُ انْتَهَى الْكَلَامُ عَلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ فَلْنَشْرَعِ الآنَ فِي ذِكْرِ ابْتِدَاءِ خَلْقِهِ وَحَمْلِهِ وَوِلَادَتِهِ وَرَضَاعِهِ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ، فَنَقُولُ:

رَوَى مُسْلِمٌ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». وَمِمَّا كُتِبَ فِي الذِّكْرِ وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

وَصَحَّ خبَرُ: «إِنِّي لَعِنْدَ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ» أَيْ طَرِحُ مُلْقًى لَا رُوحَ فِيهِ. وَصَحَّ: «مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا ، قَالَ: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ». وَلَفْظُ: « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ» لم يُوجَدْ مَرْوِيًّا. وَجَاءَ: « كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ خَلْقًا وَآخِرُهُمْ بَعْثًا».

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّه تَعَالَى قَبْلَ الْأَشْيَاءِ ، قَالَ: يَا جَابِرُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ يَدُورُ بِالْقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللَّه، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَوْحٌ وَلَا قَلَمٌ، وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ، وَلَا مَلَكٌ، وَلَا سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ» الْحَدِيث.

قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ جِبْرِيل أَنْ يَأْتِيهِ بِالطِّينَةِ الَّتِي هِيَ قَلْبُ الْأَرْضِ، فَهَبَطَ فِي مَلَائِكَةِ الْفِرْدَوْسِ وَمَلَائِكَةِ الرَّقِيعِ(١) الْأَعْلَى - أَيْ: السَّمَاءِ السَّابِعَة -،

---

(١) قال ابن منظور في "لسان العرب": الأَرْقَعُ والرَّقِيعُ: اسمان للسماء الدُّنيا لأَنّ الكواك رَقَعَتْها، سميت بذلك لأَنها مَرْقُوعة بالنجوم، والله أَعلم، وقيل: سميت بذل لأَنها رُقِعت بالأَنوار التي فيها، وقيل: كل واحدة من السموات رَقِي للأُخرى، والجمع أَرْقِعةٌ، والسموات السبع يقال إِنها سبعة أَرْقِعة، كل سَماء منها رَقَعت التي تليها فكانت طبَقاً لها كما تَرْقَع الثوب بالرُّقعة، وفي الحديث عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعْد بن معاذ رض الله عنه، حين حكم في بني قُرَيْظةَ: لقدْ حَكَمْتَ بحكم الله من فوق

فَقَبَضَهَا مِنْ مَحَلِّ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ، - أَيْ: وَأَصلها مِنْ مَحَلِّ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ -، فَوَجَّهَهَا الطُّوفَانُ، - أَيْ: الْمَاء الْكَثِير الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْعَرْش - إِلَى هُنَاكَ، فَعُجِنَتْ بِمَاءِ التَّسْنِيمِ، - وَهُوَ أَعْلَى مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ -، ثُمَّ غُمِسَتْ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَتْ كَالدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ، ثُمَّ طَافَتْ بِهَا الْمَلائِكَةُ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَفِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْبِحَارِ، فَعَرَفَتْ الْمَلَائِكَةُ وَجَمِيعُ الْخَلْقِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ آدَمَ».

وَيُرْوَى: أَنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَالَ: «يَا رَبِّ لِمَ كَنَّيْتَنِي أَبَا مُحَمَّدٍ ، قَالَ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعَهُ، فَرَأَى نُورَ مُحَمَّدٍ فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَا هَذَا النُّورُ ، قَالَ: هَذَا نُورُ نَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ، وَفِي الْأَرْضِ مُحَمَّدٌ، لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ، وَلَا خَلَقْتُ سَمَاءً وَلَا أَرْضًا. وَسَأَلَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مُتَوَسِّلاً إِلَيْهِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَفَرَ لَهُ».

سَبعة أَرْقِعة، فجاء به على التذكير كأَنه ذَهب به إِلى معنى السقْف، وعن سبع سموات، وكلُّ سماء يقال لها رَقِيع، وقيل :الرَّقِيع اسم سما الدنيا فأَعْطَى كُلَّ سَماء اسْمَها. وفي الصحاح :والرَّقِيع سماء الدني وكذلك سائر السماوات.

وَيُرْوَى أَنَّ آدمَ قَالَ: «يَا رَبِّ بِحُرْمَةِ هَذَا الْوَلَدِ ارْحَمْ هَذَا الْوَالِدِ، فَنُودِيَ: يَا آدمُ، لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ».

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي "صَحِيحِهِ": «لَمَّا اقْتَرَفَ آدمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ قَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدمُ، إِنَّهُ لَأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَاسْأَلْنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ».

وَلَمَّا كَانَ آدمُ طِينًا اسْتُخْرِجَ مِنْهُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنُبِّيءَ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ الْمِيثَاقَ قَبْلَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى آدمَ، فَنُفِخَتْ فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ اسْتُخْرِجَتْ مِنْهُ ذُرِّيَّتُهُ لِأَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ.

فَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخَلْقِ، وَوَاسِطَةُ عِقْدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَسُولُ الرُّسُلِ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ

بِأَنَّهُمْ مِنْ أَتْبَاعِهِ، عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِ فِي زَمَانِهِمْ فَيَكُونُ مُرْسَلاً إِلَيْهِمْ وَيَكُونُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَرِسَالَتُهُ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ يَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ لِوَائِهِ.

وَلَمَّا ظَهَرَ آدَمُ لَمَعَ نُورُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَبِينِهِ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ حَوَّاءَ، وَهُوَ نَائِمٌ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَرَآهَا سَكَنَ إِلَيْهَا، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَهْ يَا آدَمُ، قَالَ: وَلِمَ وَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ لِي ، فَقَالُوا: حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَهَا، قَالَ: وَمَا مَهْرُهَا ، قَالُوا: تُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: عِشْرِينَ، فَفَعَلَ آدَمُ مَا أُمِرَ بِهِ.

ثُمَّ لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ لِلْحِكَمِ الَّتِي أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَهَا فِي الْعَالَمِ وَلَدَتْ حَوَّاءُ لِآدَمَ أَرْبَعِينَ وَلَدًا فِي عِشْرِينَ بَطْنًا، فِي كُلِّ بَطْنٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، فَكَانَ يُزَوِّجُ ذَكَرَ هَذَا الْبَطْنِ لِأُنْثَى تِلْكَ الْبَطْنِ، وَهَكَذَا تَنْزِيلاً لِاخْتِلَافِ الْبُطُونِ مَنْزِلَةَ اخْتِلَافِ الْقَبَائِلِ، وَلِضَرُورَةِ التَّنَاسُلِ، وَوَضَعَتْ شِيثًا وَحْدَهُ إِعْلَامًا بِأَنَّهُ الْوَارِثُ لِأَبِيهِ نُبُوَّةً وَعِلْمًا، فَلِهَذَا انْتَقَلَ النُّورُ الْمُحَمَّدِيُّ إِلَيْهِ.

ثُمَّ أَوْصَى شِيثُ وَلَدَهُ بِمَا أَوْصَاهُ بِهِ أَبُوهُ آدَمُ، أَنْ لَا يَضَعَ هَذَا النُّورَ الْمُحَمَّدِيَ إِلَّا فِي الْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، ثُمَّ لَمْ تَـزَلْ هَـذِهِ الْوَصِـيَّةُ مَعْمُولاً بِهَا إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَطَهَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا النَّسَبَ مِنْ قَبَائِحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ.

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ، مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحٌ كَنِكَاحِ الْإِسْلَامِ».

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ خَبَرَ: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَتْنِي أُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ». أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضًا: «لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يُنَقِّلُنِي مِنَ الْأَصْـلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، مُهَـذَّبًا، لَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَـا». وَالسِّـفَاحُ بِكَسْـرِ السِّـينِ الْمُهْمَلَةِ: الزِّنَا وَغَيْرُهُ مِنْ أَنْكِحَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الْبَاطِلَةِ.

وَرَوَى مُسْلِمُ وَغَيْرُهُ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ،

وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ خَلْقَهُ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْعَرَبَ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارٍ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ».

وَكَانَ ذَلِكَ النُّورُ يَزْدَادُ تَلَأْلُؤًا فِي جَبْهَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِهِ فَيُغَاثُونَ، وَبِبَرَكَةِ ذَلِكَ النُّورِ تَوَجَّهَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ قَصَدُوا مَكَّةَ لِيَخْرِبُوهَا، وَقَدْ آنَ إِبَانُ الْحَمْلِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطُّيُورَ الْأَبَابِيلَ مِنَ الْبَحْرِ، فَأَهْلَكَهُمْ قَبْلَ وُصُولِهِمُ الْحَرَمَ عَنْ آخِرِهِمْ، إِلَّا وَاحِدًا مِنْهُمْ بَقِيَ لِيُخْبِرَ قَوْمَهُ بِذَلِكَ، إِرْهَاصًا وَكَرَامَةً لِظُهُورِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ ظَهرَ ذَلِكَ النُّورُ فِي جَبهَةِ أَبِيهِ عَبدِ اللَّهِ الذَّبِيحِ، الَّذِي فَدَاهُ عَنِ الذَّبحِ لِأَجلِ نَذرِهِ، لَمَّا خَرجَتْ عَلَيهِ الْقُرعَةُ، فَأَمرَ بِأَنْ يُقرَعَ بَينَهُ وَبَيْنَ مِائَةٍ مِنَ الْإِبلِ فَكَرَّرهَا ثَلَاثًا، كُلّ مَرَّةٍ تَخرُجُ عَلَى الْإِبلِ، فَفَدَاهُ بِهَا.

وَلَمَّا فُدِيَ أَدرَكَتْ امرَأَةٌ مِنهُ ذَلِكَ النُّورَ، فَخَطَبَتهُ لِنَفسِهَا وَتُعطِيهِ الْمِائَةَ الَّتِي فُدِيَ بِهَا، فَأَبَى حَتَّى يَأْذَنَ أَبُوهُ، فَذَهَبَ بِهِ أَبُوهُ إِلَى وَهْبِ بْنِ عَبدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَهُوَ يَومَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا، وَعُمرُ عَبدِ اللَّهِ حِينَ التَّزَوُّجِ كَانَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: أَقَلُّ، فَزَوَّجَهُ لِوَقْتِهِ ابْنَتَهُ آمِنَةَ، أَفْضَلَ امرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا مِنْ فَورِهِ، فَحَمَلَتْ بِسَيِّدِ الْخَلَائِقِ مِنْ سَاعَتِهَا، فَفَارَقَهُ ذَلِكَ النُّورُ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأُولَى، فَأَبَتْ وَقَالَتْ: فَارَقَكَ مَا كُنْتُ آمُلُ انْتِقَالَهُ إِلَيَّ مِنَ النُّورِ الَّذِي كَانَ مَعَكَ.

وَنُودِيَ لَيلَةَ حَملِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ لَيلَةُ الْجُمُعَةِ مِنْ شَهرِ رَجَبٍ، وَقِيلَ: لَيلَةَ الِاثْنَيْنِ مِنهُ، فِي السَّمَاءِ وَالْأَرضِ: إِنَّ النُّورَ الْمَكْنُونَ الَّذِي مِنهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَستَقِرُّ اللَّيلَةَ فِي بَطْنِ آمِنَةَ، وَيَخرُجُ لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.

وَأَمِرَ رِضْوَانُ أَنْ يَفْتَحَ أَبْوَابَ الْفِرْدَوْسِ، وَنَطَقَتْ كُلُّ دَابَّةٍ لِقُرَيْشٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَقَالَتْ: حُمِلَ بِمُحَمَّدٍ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ إِمَامُ الدُّنْيَا وَسِرَاجُ أَهْلِهَا.

وَلَمْ يَبْقَ سَرِيرُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلَّا أَصْبَحَ مَنْكُوسًا، وَأَصْبَحَ كُلُّ مَلِكٍ أَخْرَسَ لَا يَنْطِقُ يَوْمَهُ ذَلِكَ. وَمَرَّتْ وُحُوشُ الْمَشْرِقِ إِلَى وُحُوشِ الْمَغْرِبِ تُبَشِّرُهَا بِهِ، وَكَذَا بَشَّرَ مَا فِي الْبِحَارِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَرَأَتْ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقْظَةِ أُمُّهُ قَائِلًا يَقُولُ لَهَا: أَشَعَرْتِ أَنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا . وَرَأَتْ مَرَّةً أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

وَلَمَّا مَضَى لِحَمْلِهَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ أَتَاهَا آتٍ فِي مَنَامِهَا فَرَكَضَهَا بِرِجْلَيْهِ، وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا حَمَلَتْ بِسَيِّدِ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهَا تُسَمِّيهِ مُحَمَّدًا، وَأَنَّهَا تَكْتُمُ شَأْنَهَا.

وَالْمَشْهُورُ مِنَ الرِّوَايَاتِ: أَنَّهَا لَمْ تَجِدْ لِحَمْلِهَا ثِقْلاً. وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكْرُ أُمِّهِ. وَفِي أُخْرَى: لَا. وَجُمِعَ بِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّهَا أَسْقَطَتْ قَبْلَهُ،

لَكِنْ يَرُدُّ هَذَا الْجَمْعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ حِينَ تَزَوَّجَهَا أَبُوهُ وَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ بِهِ مِنْ سَاعَتِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ وَهِيَ الْأَشْهَرُ: أَنَّ أَبَاهُ مَاتَ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ، قَدْ تَمَّ لَهَا مِنْ حَمْلِهَا شَهْرَانِ. وَعَلَيْهَا الْأَكْثَرُ. وَقِيلَ: مَاتَ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، وَدُفِنَ فِي الْمَدِينَةِ فِي دَارِ النَّابِغَةِ، وَقِيلَ: بِالْأَبْوَاءِ.

وَلَمْ تَزَلْ أُمُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَى وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهِ، مِمَّا تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِنَقْلِهِ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ إِلَى أَنْ مَضَتْ تِلْكَ الشُّهُورُ، وَأَشْرَقَ الْوُجُودُ بِهَذَا النُّورِ، فَأَخَذَهَا مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ مِنَ الْأَلَمِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ، فَسَمِعَتْ شَيْئًا هَالَهَا، فَرَأَتْ كَأَنَّ جُنَاحَ طَائِرٍ أَبْيَضَ مَسَحَ عَلَى فُؤَادِهَا، فَذَهَبَ رَوْعُهَا، ثُمَّ الْتَفَتَتْ فَإِذَا بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ فِيهَا لَبَنٌ، وَكَانَتْ عَطْشَى فَشَرِبَتْهَا، ثُمَّ رَأَتْ نِسْوَةً كَالنَّخْلِ طُولاً فَعَجِبَتْ مِنْهُنَّ، فَقُلْنَ لَهَا: نَحْنُ آسِيَةُ وَمَرْيَمُ، وَهَؤُلَاءِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ.

فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَتَكَرَّرَ سَمَاعُهَا لِذَلِكَ الْمَهُولِ، وَإِذَا هِيَ بِدِيبَاجٍ أَبْيَضَ مُدَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: خُذُوهُ - يَعْنِي إِذَا وُلِدَ -

عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ. وَرَأَتْ أَيْضًا رِجَالاً وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ، بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَنَّهَا أَيْ: آمِنَةُ يَرْشَحُ مِنْهَا عَرَقٌ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ الأَذْفَرِ.

وَرَأَتْ أَيْضًا قِطْعَةً مِنَ الطَّيْرِ أَقْبَلَتْ حَتَّى غَطَّتْ حُجْرَتَهَا، مَنَاقِيرُهَا الزُّمُرُّدُ وَأَجْنِحَتُهَا الْيَاقُوتُ، وَأَبْصَرَتْ حِينَئِذٍ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَرَأَتْ ثَلاثَةَ أَعْلَامٍ مَضْرُوبَاتٍ: عَلَمًا فِي الْمَشْرِقِ، وَعَلَمًا فِي الْمَغْرِبِ، وَعَلَمًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ. فَأَخَذَهَا الْمَخَاضُ، وَاشْتَدَّ بِهَا الأَمْرُ وَحِينَئِذٍ وَلَدَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلاً كَمَا فِي رِوَايَاتٍ، أَوْ نَهَارًا فِي أُخْرَى، وَلَا تَخَالُفَ بَيْنَهُمَا، لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ بُعَيْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.

وَوُصِفَ فِي رِوَايَاتٍ بِأَوْصَافٍ تَلِيقُ بِكَمَالِهِ الأَعْظَمِ، وَسُؤْدَدِهِ الأَفْخَمِ، مِنْهَا أَنَّهُ وُلِدَ نَظِيفًا مَا بِهِ قَذَرٌ أَصْلاً، وَإِنَّ النُّجُومَ دَنَتْ وَتَدَانَتْ حَتَّى ظَنَّ مَنْ هُنَاكَ سُقُوطَهَا عَلَيْهِمْ.

وَإِنَّ قَابِلَتَهُ سَمِعَتْ قَائِلاً يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، فَسَطَعَ نُورٌ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَأَنَّهُ حِينَ وَلَدَتْهُ وَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ لَمَّا فُصِلَ مِنْ أُمِّهِ خَرَجَ نُورٌ مِنْهَا أَضَاءَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغرِبِ، لا سِيَّمَا الشَّامُ وقُصورُها، إِشارَةً أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِلُ إِلَيْها بِنَفْسِهِ، وأَنَّ الْإِسْرَاءَ يكُونُ إِلَيْها ثُمَّ مِنْها إِلَى السَّماءِ، وَأَنَّها دَارُ مُلْكِهِ كَمَا جاءَ فِي أَثَرٍ. قَالَ كَعْبُ الْأَحْبارِ: إِنَّ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، ومُهَاجِرُهُ بِيَثْرِبَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ.

وَإِلَى هَذَا خُرُوجِ النُّورِ وَإِضَاءَةِ الْقُصُورِ، أَشَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتُ أَشْرَقَتِ الْـ ... أَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّـ ... ـورِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وُلِدَ وَقَعَ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرابٍ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَبْضُ التُّرَابِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَمْلِكُ الْأَرْضَ وَيَنْثُرُهُ فِي وَجْهِ أَعْدَائِهِ فَيَهْزِمُهُمْ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ. أَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ وَضَرَبَ بِهِ وُجُوهَ الْعَدُوِّ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَأَصَابَهُ مِنْهُ، فَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ وُضِعَ تَحتَ بُرمَةٍ، كَمَا كَانُوا يَعْتَادُونَ ذَلِكَ بِالْمَوْلُودِينَ عَقِبَ وِلَادَتِهِمْ، فَانفَلَقَتْ تِلْكَ الْبُرمَةُ عَنهُ، وَإِذَا بِهِ قَدْ شَقَّ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَنْظُرُ وَيَمُصُّ إِبْهَامَهُ فَتَشْخَبُ لَبَنًا، وَأَنَّ سَحَابَةً بَيْضَاءَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَغَيَّبَتْهُ عَنْ وَجْهِ أُمِّهِ بُرهَةً مِنَ الزَّمَنِ، فَسَمِعَتْ قَائِلًا يَقُولُ: طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا، وَأَدْخِلُوهُ إِلَى الْبِحَارِ كُلِّهَا، لِيَعْرِفَهُ جَمِيعُ مَنْ بِهَا بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ، وَيَعْرِفُوا بَرَكَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ انْجَلَتْ عَنهُ فَإِذَا بِهِ مُدْرَجٌ فِي ثَوْبٍ مِنْ صُوفٍ أَبْيَضَ، وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ، وَقَدْ قَبَضَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَفَاتِيحَ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الْأَبْيَضِ الرَّطْبِ، وَإِذَا بِقَائِلٍ يَقُولُ: قَبَضَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِفْتَاحِ النَّصْرِ، وَعَلَى مِفْتَاحِ الذِّكْرِ، وَعَلَى مِفْتَاحِ النُّبُوَّةِ.

ثُمَّ غَشِيَهُ ثَلَاثَةٌ، بِيَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَبِيَدِ الثَّانِي طِسْتٌ مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ، وَبِيَدِ الثَّالِثِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ، فَنَشَرَهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَمًا تَحَارُ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَغَسَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْرِيقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِالْخَاتَمِ، وَلَفَّهُ فِي الْحَرِيرَةِ ثُمَّ احْتَمَلَهُ وَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ.

وَلَا تُعَارِضُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ رِوَايَةَ أَنَّهُ وُلِدَ بِالْخَاتَمِ، وَلَا رِوَايَةَ أَنَّهُ خُتِمَ بِهِ لَمَّا شُقَّ صَدْرُهُ وَهُوَ عِنْدَ حَلِيمَةَ، لِأَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ تَكْرَارِ الْخَتْمِ إِظْهَارًا لِمَزِيدِ الْكَرَامَةِ وَالتَّمَيُّزِ وَالِاعْتِنَاءِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَخْبَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ فِي لَيْلَةِ وِلَادَتِهِ بِهَا، وَأَجْمَعُوا عَلَى ذَهَابِ مُلْكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ.

وَفِيهَا ارْتَجَّ وَاضْطَرَبَ إِيوَانُ كِسْرَى الَّذِي لَمْ يُبْنَ أَحْكَمُ مِنْهُ، فَانْصَدَعَ وَانْشَقَّ وَسَقَطَ مِنْ أَعْلَاهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرَّافَةً، وَكَانَتْ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ إِلَّا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا، وَكَانَ آخِرُهُمْ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَخَمَدَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ نَارُ فَارِسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ تَخْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، بَلْ كَانَتْ تُوقَدُ وَتُضْرَمُ أَشَدَّ الْإِيقَادِ وَالْإِضْرَامِ لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى إِيقَادِ شَيْءٍ مِنْهَا.

وَغَاضَتْ وَنَشَفَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّةَ بِعِرَاقِ الْعَجَمِ، وَكَانَتْ تَسِيرُ فِيهَا السُّفُنُ إِلَى مَا حَوْلِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، فَأَصْبَحَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَلَيْسَ بِهَا قَطْرَةُ مَاءٍ، فَبُنِيَ فِي مَحَلِّهَا مَدِينَةٌ تُسَمَّى سَاوَةُ.

وَرُمِيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الشَّيَاطِينُ الْمُسْتَرِقُونَ لِلسَّمْعِ فِي السَّمَاءِ بِالشُّهُبِ، فَلَمْ يَعُودُوا إِلَيْهَا. وَحُجِبَ إِبْلِيسُ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ. وَرَنَّ اللَّعِينُ رَنَّاتٍ: حِينَ لُعِنَ، وَحِينَ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَحِينَ وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحِينَ بُعِثَ، وَحِينَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ.

وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ وُلِدَ مَخْتُونًا مَسْرُورًا، أَيْ مَقْطُوعَ السُّرَّةِ، حَتَّى لَا يَرَى أَحَدٌ سَوْأَتَهِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا خَتَنَهُ جَدُّهُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمَ السَّابِعِ مِنْ وِلَادَتِهِ، وَقِيلَ: خَتَنَهُ جِبْرِيلُ عِنْدَ حَلِيمَةَ لَمَّا شَقَّ صَدْرَهُ، وَهُوَ أَضْعَفُهَا.

وَمِنْ أَسْبَابِ تَسْمِيَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَهُ مُحَمَّداً مَا رُوِيَ أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ سِلْسِلَةَ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، لَهَا طَرَفٌ بِالسَّمَاءِ وَطَرَفٌ بِالْأَرْضِ، وَطَرَفٌ بِالْمَشْرِقِ وَطَرَفٌ بِالْمَغْرِبِ، ثُمَّ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْهَا نُورٌ، وَإِذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَتَعَلَّقُونَ

بِهَا، فَعُبِّرَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ صُلْبِهِ، يَتْبَعُهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ مُحَمَّدًا.

وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا سَبَقَ مِنْ أَنَّ أُمَّهُ أُمِرَتْ بِأَنْ تُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا، لِأَنَّهُ لَا مَانِعَ أَنَّهُ سَمَّتَهُ بِذَلِكَ سِرًّا، أَوْ أَنَّ جَدَّهُ سَمَّاهُ بِهِ جَهْرًا، كُلُّ ذَلِكَ لِيُطَابِقَ تَسْمِيَتَهُ بِهِ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ عَلَى الْأَصَحِّ. وَاخْتَلَفُوا فِي شَهْرِ مَوْلِدِهِ وَيَوْمِهِ مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرِ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ. وَالْمَشْهُورُ وَهُوَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ وُلِدَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَأَنَّهُ فِي ثَانِي عَشْرِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ وُلِدَ فِي ثَامِنِهِ، وَبِهِ جَزَمَ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالْحُفَّاظِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَكْثَرِ مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالتَّارِيخِ، بَلْ نَقَلَ بَعْضُهُمْ إِجْمَاعَ أَهْلِ التَّارِيخِ عَلَيْهِ.

وَالصَّوَابُ أَنَّهُ وُلِدَ بِمَكَّةَ، وَلَا يَجُوزُ اعْتِقَادُ غَيْرِهِ، وَالْأَشْهَرُ أَنَّهُ بِمَحَلِّ مَوْلِدِهِ الْمَشْهُورِ بِسُوقِ اللَّيْلِ بِشِعْبِ بَنِي هَاشِمٍ، وَهُوَ الْآنَ مَسْجِدٌ اشْتَرَتْهُ الْخَيْزَرَانُ أُمُّ الرَّشِيدِ جَارِيَةُ الْمَهْدِيِّ، وَوَقَفَتْهُ مَسْجِدًا

لله تعالى، يصلّي فيه أهل مكة، يخرجون إليه كل عام ليلة المولد الشريف من شهر ربيع الأول، ويحتفلون بذلك احتفالاً عظيمًا، ويجتمع فيه الخاص والعام، ويرونه من أكبر الأعياد، وما ذاك إلا بفرحهم به صلّى الله عليه وسلّم.

ولا زال أهل الإسلام يهتمون بشهر مولده، ويعملون الولائم والصدقات، ويظهرون السرور، ويعتنون بقراءة مولده الشريف، ومما جرب من خواص عمل المولد أنه أمان في ذلك العام.

وأول من أرضعته بعد أمه - قيل: ثلاثة أيام وقيل: سبعة وقيل ستة - ثويبة الأسلمية، مولاة أبي لهب، بلبن ابنها مسروح، أيامًا قلائل قبل قدوم حليمة، وقد أرضعت قبله عمه حمزة، وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وهو ابن عمته عليه السلام.

وكان أبو لهب أعتقها لما بشرته بولادته صلّى الله عليه وسلّم، فخفف الله عنه من عذابه كل ليلة اثنين، جزاءً لفرحه فيها بمولده صلّى الله عليه وسلّم. كما جوزي عمه أبو طالب بسبب تربيته، بأن خفف الله عنه من عذابه أيضًا. وفي رواية: أنه أعتقها بعد الهجرة.

فَعلَيْهَا فَالتَّخْفِيفُ عَنْهُ لِأَمْرِهِ لَهَا بِإِرْضَاعِهِ، وَاخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِهَا، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصِلُهَا وَهُوَ بِمَكَّةَ، وكَذَا خَدِيجَةُ إِلَى أَنْ مَاتَتْ سَنَةَ سَبْعٍ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ خَيْبَرَ.

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيّ: فَإِذَا كَانَ هَذَا أَبُو لَهَبٍ الْكَافِرُ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ جُوزِيَ فِي النَّارِ بِفَرَحِهِ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا حَالُ الْمُسْلِمِ الْمُوَحِّدِ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسَرُّ بِمَوْلِدِهِ، وَيَبْذُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَمْرِي إِنَّمَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَنْ يُدْخِلَهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَلِلَّهِ دَرُّ حَافِظِ الشَّامِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ، حِينَ قَالَ:

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِرًا جَاءَ ذَمُّهُ ... وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدَا
أَتَى أَنَّهُ فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ دَائِمًا ... يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلسُّرُورِ بِأَحْمَدَا
فَمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِي طُولَ عُمْرِهِ ... بِأَحْمَدَ مَسْرُورًا وَمَاتَ مُوَحِّدَا

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ: مَنْ يَكْفُلُ هَذِهِ الدُّرَّةَ الْيَتِيمَةَ، الَّتِي لَا يُوجَدُ لِمِثْلِهَا قِيمَةٌ. قَالَتِ الطَّيْرُ: نَحْنُ نَكْفُلُهُ وَنَغْتَنِمُ خِدْمَتَهُ الْعَظِيمَةَ، وَقَالَتِ الْوُحُوشُ: نَحْنُ أَوْلَى بِذَلِكَ نَنَالُ شَرَفَهُ

وَتَعْظِيمَهُ، فَنَادَى لِسَانُ الْقُدْرَةِ: أَنْ يَا جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي حِكْمَتِهِ الْقَدِيمَةِ أَنَّ نَبِيَّهِ الْكَرِيمِ يَكُونُ رَضِيعًا لِحَلِيمَةَ الْحَلِيمَةِ.

فَرُوِيَ أَنَّ بَعْدَ ثُوَيْبَةَ أَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ، أَسْلَمَتْ وَعَاشَتْ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَكَرَهَا فِي الصَّحَابَةِ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَكَانَتْ تَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَبْسُطُ لَهَا رِدَاءَهُ فَتَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى السَّعْدِيُّ وَبِنْتُهَا الشَّيْمَاءُ الَّتِي كَانَتْ تَحْضُنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَشَ لَهُمَا رِدَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَجَلَسَا عَلَيْهِ، وَذُكِرَا فِي الصَّحَابَةِ أَيْضًا.

وَرُوِيَ أَنَّ حَلِيمَةَ قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَزَوِّجٌ خَدِيجَةَ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ جَدْبَ الْبِلَادِ، فَكَلَّمَ خَدِيجَةَ فَأَعْطَتْهَا أَرْبَعِينَ شَاةً وَبَعِيرًا.

وَخُلَاصَةُ قِصَّةِ رَضَاعِهَا: أَنَّهَا خَرَجَتْ مَعَ نِسْوَةٍ مِنْ قَوْمِهَا، قِيلَ كَانُوا عَشَرَةً، يَلْتَمِسْنَ الرَّضَاعَ بِمَكَّةَ عَلَى أَتَانٍ لَهَا وَمَعَهَا شَارِفٌ -أَيْ نَاقَةٌ مُسِنَّةٌ- فَلَمَّا قَدِمَتْ مَكَّةَ لَمْ يَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُلُّهُنَّ أَعْرَضْنَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لِيُتْمِهِ، حَتَّى هِيَ أَوَّلاً. وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَحْصُلْ لَهَا غَيْرُهُ جَاءَتْ إِلَيْهِ وَأَخَذَتْهُ، فَوَجَدَتْهُ مُدْرَجًا فِي ثَوْبِ صُوفٍ أَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ، يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ، وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ، وَكَانَ رَاقِدًا عَلَى قَفَاهُ، فَهَابَتْهُ أَنْ تُوقِظَهُ، فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى صَدْرِهِ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، وَفَتَحَ لَهَا عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَخَرَجَ مِنْهُمَا نُورٌ حَتَّى دَخَلَ خِلَالَ السَّمَاءِ، فَقَبَلَتْهُ وَأَعْطَتْهُ ثَدْيَهَا الْأَيْمَنَ فَقَبِلَهُ، وَدَرَّ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، وَحَوَّلَتْهُ إِلَى الْأَيْسَرِ فَأَبَى، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْهَمَهُ الْعَدْلَ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا هُوَ ابْنُهَا، فَتَرَكَ لَهُ ثَدْيَهَا الْأَيْسَرَ.

وَكَانَتْ حَلِيمَةُ وَنَاقَتُهَا وَأَتَانُهَا فِي أَشَدِّ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ وَعَدَمِ اللَّبَنِ، فَبِمُجَرَّدِ أَنْ وَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا دَرَّ عَلَيْهِ ثَدْيُهَا فَرَوِيَ وَرَوِيَ أَخُوهُ، أَيْ: ابْنُهَا، وَدَرَّتْ نَاقَتُهُمْ فَأَشْبَعَتْهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَبَنًا. فَقَالَ زَوْجُهَا: وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ، مَا أَرَاكِ إِلَّا أَصَبْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً.

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ وَدَّعَتْ أُمَّهُ آمِنَةَ وَرَكِبَتْ أَتَانَهَا، وَأَخَذَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهَا، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ الْأَتَانَ سَجَدَتْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ مَعَ قَوْمِهَا سَبَقَتْ

أَتَانُهَا الْكُلَّ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَا تَنْهَضُ، فَأَنْكَرْنَ أَنَّهَا هِيَ، فَلَمَّا عَلِمْنَ أَنَّهَا هِيَ، قُلْنَ: إِنَّ لَهَا شَأْنًا عَظِيمًا.

وَكَانَتْ حَلِيمَةُ تَسْمَعُ أَتَانَهَا تَقُولُ: إِنَّ لِي شَأْنًا ثُمَّ شَأْنًا، بَعَثَنِي اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِي، وَرَدَّ عَلَيَّ سِمَنِي بَعْدَ هُزَالِي، وَيُحَكُنَّ يَا نِسَاءَ بَنِي سَعْدٍ إِنَّكُنَّ لَفِي غَفْلَةٍ لَوْ عَلِمْتُنَّ مَنْ عَلَى ظَهْرِي!، عَلَى ظَهْرِي خِيَارُ النَّبِيِّينَ وَالْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

فَلَمَّا وَصَلُوا مَنَازِلَهُمْ كَانَتْ أَجْدَبَ أَرْضٍ، فَكَانَتْ غَنَمُ حَلِيمَةَ تَرْجِعُ مَلْأَى، وَغَنَمُهُمْ مَا بِهَا قَطْرَةٌ، مَعَ أَنَّهَا كُلَّهَا تَرْعَى بِمَحَلٍّ وَاحِدٍ. فَلِلَّهِ دَرُّهَا مِنْ بَرَكَةٍ كَثُرَتْ بِهَا مَوَاشِي حَلِيمَةَ وَنَمَتْ، وَارْتَفَعَ قَدْرُهَا بِهِ وَسَمَتْ، وَلَمْ تَزَلْ حَلِيمَةُ تَتَعَرَّفُ الْخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ وَتَفُوزُ مِنْهُ بِالْحُسْنَى وَزِيَادَةٍ.

لَقَدْ بَلَغَتْ بِالْهَاشِمِيِّ حَلِيمَةُ ... مَقَامًا عَلَا فِي ذَرْوَةِ الْعِزِّ وَالْمَجْدِ
وَزَادَتْ مَوَاشِيهَا وَأَخْصَبَ رَبْعُهَا ... وَقَدْ عَمَّ هَذَا السَّعْدُ كُلَّ بَنِي سَعْدِ

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشِبَّهُ الْغِلْمَانُ. وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صَارَ ابْنُ شَهْرَيْنِ كَانَ يَتَزَحْلَقُ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ كَانَ يَقُومُ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَفِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ كَانَ يَمْسِكُ الْجِدَارَ وَيَمْشِي، وَفِي خَمْسَةٍ حَصَلَ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْمَشْيِ. وَلَمَّا تَمَّ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ كَانَ يَسْرِعُ فِي الْمَشْيِ، وَفِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ كَانَ يَسْعَى وَيَعْدُو إِلَى كُلِّ جَانِبٍ، وَلَمَّا مَضَى لَهُ ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ كَانَ يَرْمِي السِّهَامَ مَعَ الصِّبْيَانِ.

فَلَمَّا تَمَّ لَهُ عِنْدَهَا سَنَتَانِ عَادَا بِهِ إِلَى أُمِّهِ، فَلَمْ تَزَلْ حَلِيمَةُ تُرَاجِعُ أُمَّهُ فِي التَّرْكِ عِنْدَهَا حَتَّى رَضِيَتْ، لِمَا تَرَاهُ مِنَ الْبَرَكَةِ، فَرَجَعَتْ بِهِ فَمَكَثَ عِنْدَهَا شَهْرَيْنِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ وَأَخُوهُ يَرْعَيَانِ حَوْلَ الْبُيُوتِ بَهْمًا لِحَلِيمَةَ، -أَيْ جَمْعُ بَهْمَةٍ وَهِيَ وَلَدُ الضَّأْنِ-، وَإِذَا بِأَخِيهِ يَشْتَدُّ، -أَيْ يُسْرِعُ فِي الْمَشْيِ-، فَقَالَ لِأَبَوَيْهِ: أَدْرِكَا أَخِي الْقُرَشِيَّ، فَأَدْرَكَاهُ مُنْتَقِعًا لَوْنُهُ، فَاعْتَنَقَاهُ وَسَأَلَاهُ، فَأَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّا بَطْنَهُ،

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا صَنَعَا بِي، فَخَافَتْ حَلِيمَةُ وَزَوْجُهَا عَلَيْهِ، أَيْ مِنْ وُقُوعِ شَيْءٍ أَصَابَهُ.

فَرَدَّاهُ فَوْرًا إِلَى أُمِّهِ، فَقَالَتْ: مَا رَدَّكُمَا بِهِ وَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ أَيْ: عَلَى مَقَامِهِ عِنْدَكُمَا. ثُمَّ لَمْ تَزَلْ أُمُّهُ بِهِمَا، أَيْ تُرَاجِعُهُمَا فِي السَّبَبِ الَّذِي أَوْجَبَ رَدَّهُ إِلَيْهَا حَتَّى أَخْبَرَاهَا خَبَرَهُ، فَقَالَتْ: أَتَخَوَّفْتُمَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ ، كَلَّا وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ، وَإِنَّهُ كَائِنٌ لِابْنِي هَذَا شَأْنٌ، دَعَاهُ وَالْحَقَا بِشَأْنِكُمَا.

وَشُقَّ صَدْرُهُ الشَّرِيفُ أَيْضًا وَهُوَ ابْنُ عَشْرٍ، ثُمَّ عِنْدَ الْبَعْثَةِ، ثُمَّ عِنْدَ الْإِسْرَاءِ، لِيَكُونَ لِكُلِّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ طُفُولِيَّتِهِ ثُمَّ بُلُوغِهِ ثُمَّ بَعْثِهِ ثُمَّ الْإِسْرَاءِ بِهِ، كَمَالٌ يَخُصُّهُ وَيَلِيقُ بِهِ، إِذْ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِظْهَارَ الْكَرَامَةِ وَالتَّمْيِيزِ وَالِاعْتِنَاءِ، وَإِلَّا فَهُوَ مِنْ حِينِ خُلِقَ خُلِقَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَكَانَ وَهُوَ عِنْدَ حَلِيمَةَ إِذَا خَرَجَ تُظَلِّلُ عَلَيْهِ الْغَمَامَةُ، إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ وَإِذَا سَارَ سَارَتْ.

وَكَانَ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ يُنَاغِي الْقَمَرَ -أَيْ يُحَادِثُهُ- وَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِأُصْبُعِهِ، فَحَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ مَالَ. وَلَمَّا أُخْبِرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ وَيُحَدِّثُنِي وَيُلْهِينِي عَنِ الْبُكَاءِ، وَأَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ. وَكَانَ مَهْدُهُ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلَائِكَةِ.

وَتَكَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا وُلِدَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا». وَكَذَلِكَ قَالَتْ حَلِيمَةُ: أَوَّلُ مَا فَطَمْتُهُ تَكَلَّمَ بِمِثْلِ هَذَا.

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَقِيلَ: أَكْثَرَ، مَاتَتْ أُمُّهُ حِينَ مَرْجِعِهَا بِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ قَدْ ذَهَبَتْ إِلَيْهَا بِهِ مَعَ أُمِّ أَيْمَنَ، لِتَزُورَ أَخْوَالَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ. وَدُفِنَتْ بِالْأَبْوَاءِ، -قَرْيَةٍ بِالْفَرْعِ-، وَقِيلَ: دُفِنَتْ بِالْحَجُونِ، وَيَشْهَدُ لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا دُفِنَتْ أَوَّلًا بِالْأَبْوَاءِ، ثُمَّ نُبِشَتْ وَنُقِلَتْ إِلَى مَكَّةَ.

فَرَجَعَتْ بِهِ أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ الْحَبَشِيَّةُ، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا وَهَاجَرَتْ الْهِجْرَتَيْنِ، وَكَانَتْ دَايَتَهُ وَحَاضِنَتَهُ، يُقَالُ: إِنَّهُ وَرِثَهَا مِنْ أَبِيهِ أَوْ مِنْ أُمِّهِ

أَوْ أَنَّ خَدِيجَةَ وَهَبَتْهَا لَهُ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا: «أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي». وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَى جُوعًا قَطُّ وَلَا عَطَشًا، وَكَانَ إِذَا أَصْبَحَ يَغْدُو فَيَشْرَبُ مِنْ زَمْزَمَ شَرْبَةً، فَرُبَّمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الْغَدَاءَ فَيَقُولُ: أَنَا شَبْعَانُ.

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ وَقِيلَ أَقَلَّ وَقِيلَ أَكْثَرَ مَاتَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَعَشْرٍ وَقِيلَ: وَأَرْبَعِينَ سَنَةٍ. وَدُفِنَ بِالْحَجُونِ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ شَقِيقُ أَبِيهِ أَبُو طَالِبٍ بِوَصِيَّةٍ مِنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَهُ بِذَلِكَ.

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى بَلَغَ بُصْرَى، فَرَآهُ بَحِيرَا فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ، فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ ، قَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فِي أَسْفَلٍ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، وَإِنَّا نَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا، وَسَأَلَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ.

وَفِيهِ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظَلِّلُهُ. وَبَحِيرَا - بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ مَقْصُورًا - رَأَى رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَآمَنَ بِهِ، وَعُدَّ فِي الصَّحَابَةِ عَلَى رَأْيِ بَعْضِهِم.

وَرُوِيَ أَنَّ فِي هَذِهِ السَّفْرَةِ أَقْبَلَ سَبْعَةٌ مِنَ الرُّومِ يَقْصِدُونَ قَتْلَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ بَحِيرَا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ ، قَالُوا: إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ بِأُنَاسٍ، فَقَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ ، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايِعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ، وَرَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَافَرَ وَسِنُّهُ عِشْرُونَ سَنَةً إِلَى الشَّامِ مَرَّةً فِي تِجَارَةٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ سَأَلَ بَحِيرَا عَنْهُ، فَأَقْسَمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً خَرَجَ إِلَى سُوقِ بُصْرَى، وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ غُلَامُ خَدِيجَةَ فِي تِجَارَةٍ لَهَا، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَقَالَ نَسْطُورُ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا نَبِيٌّ.

وَكَانَ مَيْسَرَةُ يَرَى فِي الْهَاجِرَةِ مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ مِنَ الشَّمْسِ. وَرَأَتْ خَدِيجَةُ ذَلِكَ فِي عَوَالِي مَكَّةَ فِي سَاعَةِ الظَّهِيرَةِ - وَهِيَ فِي عِلِيَّةٍ لَهَا - رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى بَعِيرٍ وَمَلَكَانِ يُظِلَّانِ عَلَيْهِ.

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَحْوِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَعُمُرُهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً بِعَرْضٍ مِنْهَا عَلَيْهِ لِنَفْسِهَا.

ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَكَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَمَنْ يَضَعُهُ فِي مَحَلِّهِ فَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ، وَكُلٌّ يُحِبُّ أَنْ يَفْتَخِرَ بِرَفْعِهِ وَوَضْعِهِ فِي مَحَلِّهِ، فَهَمُّوا بِالْقِتَالِ، وَقَالَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ: نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُحَكِّمُوا بَيْنَهُمْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ شَيْبَةَ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ دَاخِلٍ مِنْهُ، فَقَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمَّى الْأَمِينَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، فَاشْتُهِرَ مِنْ أَمَانَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُمْ، فَبَسَطَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِدَاءَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَوَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِطَرَفٍ

مِنَ الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا». فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَرَفَعُوهُ إِلَى الرُّكْنِ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ، حَيْثُ هُوَ الْآنَ.

ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقِيلَ: لِسَبْعٍ مِنْهُ، وَقِيلَ: لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْهُ. وَقِيلَ: يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِثَمَانٍ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ. وَقِيلَ: فِي أَوَّلِ رَبِيعٍ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَرَسُولاً إِلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا قَدِ اجْتَمَعْنَا فِي هَذَا الْمَحَلِّ الشَّرِيفِ نَتَبَرَّكُ بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَأَفِضْ عَلَيْنَا بِبَرَكَتِهِ الْفَيْضَ الْعَمِيمَ، وَأَدْخِلْنَا جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا اقْتَرَفْنَا مِنَ الْجَرَائِمِ يَا كَرِيمُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِآبَائِنَا

وَأُمَّهَاتِنَا وَمَشَايِخِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَالْمُسْلِمِينَ، إِنَّكَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِجَاهِ هَذَا النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَآلِهِ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَا، فَكُنْ لَنَا مُعِينًا مُسْعِفًا، وَبَوِّئْنَا مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا، وَارْزُقْنَا بِجَاهِهِ قَبُولًا وَعِزًّا وَشَرَفًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَشَفَّعُ بِهِ إِلَيْكَ، إِذْ هُوَ أَوْجَهُ الشُّفَعَاءِ إِلَيْكَ، وَنُقْسِمُ بِحَقِّهِ عَلَيْكَ إِذْ هُوَ أَعْظَمُ مَنْ أُقْسِمَ بِحَقِّهِ عَلَيْكَ، وَنَتَوَسَّلُ بِهِ لَدَيْكَ إِذْ هُوَ أَقْرَبُ الْوَسَائِلِ إِلَيْكَ، ارْحَمْ بِهِ تَضَرُّعَنَا، وَآمِنْ خَوْفَنَا، وَتَقَبَّلْ أَعْمَالَنَا، وَأَصْلِحْ أَحْوَالَنَا، وَاجْعَلْ بِطَاعَتِكَ اشْتِغَالَنَا، وَإِلَى الْخَيْرِ مَآلَنَا، وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالَنَا، وَاخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا، وَانْصُرْ سُلْطَانَنَا، وَأَهْلِكْ أَعْدَاءَنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا.

هَذَا ذُلُّنَا ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَحَالُنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَارْتَكَبْنَا، وَلَا يَسَعُنَا إِلَّا عَفْوُكَ فَاعْفُ عَنَّا يَا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَأَكْرَمَ مَسْؤُولٍ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ تَبْيِيضِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الْمُبَارَكِ، رَابِعَ عِشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ عَامَ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى يَدِ جَامِعِهَا الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ، الرَّاجِي رَبَّهُ كُلَّ خَيْرٍ سَنِيٍّ، مُحَمَّد أَمِين بْن حَسَنٍ مِيرْغَنِيّ الْحُسَيْنِيّ الْحَنَفِيّ، عَامَلَهُ اللَّهُ بِلُطْفِهِ الْخَفِيِّ، وَوَالِدَيْهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

وَكَانَ تَمَامُ النَّسْخِ مِنْ نِسَاخَةِ هَذِهِ النُّسْخَةِ الْمُبَارَكَةِ عَلَى يَدِ أَفْقَرِ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْغَنِيِّ، عَبْدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّد مُحَمَّد عُثْمَان مِيرْغَنِيّ سَنَةَ ١٢٤٢، اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ مَنْ لَهُ الْعِزُّ وَالشَّرَفُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.